

ابستمولوجيا التعليم عن بعد
Distance Learning Epistemology
قورين أمال¹

¹ كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر جامعة مولود معمري -تيزي وز-.

تاريخ الإرسال: 2021/06/07 تاريخ القبول: 2021/10/03 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص: في إطار البحث عن الطرائق الرامية إلى ترقية المجال التربوي التعليمي، تكللت مساعي القطاع والدول والأطراف الفاعلة في التفكير بالطرائق البديلة عن التعليم النظامي، فتجسدت جهودهم في تطبيق ما يسمى بالتعليم عن بعد Distance Learning؛ والذي نهدف إلى التعريف به في هذا البحث والكشف عن ماهيته في ظل الاختلاف والتعدد المؤسساتي، والعمل على تحديد معالم نشأته وتطوره، ورصد أهم تنزيلاته في الواقع التعليمي وفقا لأنماطه وأشكاله، ومن جهة أخرى نسعى لتحديد أهداف الأخذ بهذا الأسلوب -التعليم عن بعد-؛ وذلك بغية التعريف به ونشر ثقافة استعماله في ذهن الأفراد والجماعات كآلية فعالة مستدامة أو بديلة لمجابهة الأزمات ولتجنب تعطيل المهام على مستوى أهم قطاع وهو قطاع التعليم، وجعله كحل نموذجي للأفراد الذين لم تسعفهم الظروف للتعلم، بالرغم من أهميته البالغة إلا أننا لا يمكننا صرف النظر عن التعليم الكلاسيكي وإنما الحرص على جعلهما واحدا في خدمة الآخر.

الكلمات المفتاحية(7كلمات): التعليم، التعليم عن بعد، التعليم الإلكتروني، التربية، التعليم المفتوح، التعليم المبرمج، ابستمولوجيا.

Abstract : In the context of searching ways to develop and promote the educational field, the sector, states and the active parties, they did a lot of effort to find out alternative methods for formal education. due to Their efforts they applyed the so-called distance learning.

Which we aim to introduce in this research and reveal what it is in light of the difference and the plurality of nomenclature, also work to define the parameters of its inception and development, than to monitor the most important renovations in the educational reality according to its patterns .on the other hand we seek to define the objectives of adopting this method -distance education or distance learning in order to introduce it and spread the culture of using it in the minds of individuals and groups as an effective or alternative mechanism for confronting crises and to avoid disrupting tasks at the level of the most important sector, which is the education sector, and making it a solution for individuals who were not helped by circumstances to learn, despite its great importance, but we cannot dismiss Classical education, in contrast they should be one in the service of the other.

Keywords(5 words): Learning; E-Learning; Distance Learning; Epistemology; Education.

توطئة:

التعليم والتعلم عن بعد Distance Learning مصطلح تربوي بيداغوجي، مفهومة كان ممارسا متجليا في بيئة طلاب العلم، فهو قديم قدم طلب العلم والمعرفة، لكن ظهور مسماه وشيوعه وليد الحداثة والعصرنة التكنولوجية، باعتبار التعليم عامة أصبح مطلبا إنسانيا، فلهذا الملمح الجديد في تقديم المعرفة وانتشاره مبررات منها ظروف اجتماعية، سياسية، بشرية أو مادية... إلخ، فيعتبر هذا النمط من التعليم ملجأ العديد من طالبي العلم فهو يسهل مطلبهم، ويختصر سفرهم وشقاءهم، وينقص عناء تكاليفهم الباهظة.

إذن، تعدّ هذه التقنية مميزة مغايرة لما عهده المجتمع الحديث من تعليم نظامي الملتمزم بمجموعة من الشروط كالزمنية، والمرشد، والبيئة المغلقة... إلخ، غير أن التعليم عن بعد تقريبا تحرر من هذه القيود؛ لذا بات اللجوء إليه أكثر من غيره، ليس هذا فحسب وإنما أصبح سلاحا يُجابه به من طرف كيان الدول كحل من الحلول لتجنب تعطيل المهام العامة والتربوية بصفة خاصة أثناء الأزمات كجائحة كورونا (COVID-19)، وللتعرف على هذه الآلية تسير الباحثة وفق المنهجية التالية:

1. الإطار المنهجي للبحث:

1.1. مشكلة البحث:

إن مشكلة هذه الدراسة تتمثل في رصد جل الأبعاد والحيثيات الاستمولوجية التأصيلية لهذا الإجراء -التعليم عن بعد- المعتمد في التنزيل الواقعي، في ظل القراءات والتوسعات التي لا تزال تطال هذا الموضوع، بالإضافة إلى إشكاليات تعدد أو نقول تداخل في المصطلح والمفهوم، وعليه يمكننا صوغ المشكلة العامة للبحث على النحو التالي:

- فيم تتجلى الأبعاد الاستمولوجية المعرفية والمفاهيمية التي يحملها مصطلح التعليم عن بعد؟ وما التمثلات التاريخية لنشأة وتطور وتأسيس التعليم عن بعد؟ وفيم تتمثل أشكال إنزالاته الواقعية؟

1.2. أهمية البحث:

تتوضح أهمية هذا البحث في بلورة فكرة "التعليم عن بعد" على مستوى الواقع من خلال تعريفه وترسيخه في ذهنيات الأفراد وثقافة الجماعات عامة، ومؤسسات التربية والتعليم خاصة، والتعرف على أهم أشكالها وأنماطها، بالإضافة إلى شروط وأسس وضعها واعتمادها من قبل الطالب أو المؤسسة المسؤولة عن هذا التعليم.

1.3. أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة وضع أرضية معرفية للتعريف بهذه الآلية خاصة في البلدان الجديدة في اكتشاف هكذا تجارب، ومحاولة ضبط زوايا نموها وأشكالها، بالإضافة إلى التنويه بمزاياها بغية تنشيط وتوسيع استعمالها، كما ننوه إلى عيوب التعليم عن بعد، بغية موازنته والتعليم النظامي التقليدي، كما نسعى إلى الكشف عن تقنياته وأهم أساليبه.

1.4. الدراسات السابقة للموضوع:

تجسدت في الساحة العلمية العديد من البحوث التي طالت البحث في مسألة التعليم عن بعد؛ بحيث تناولوه البحوث من جوانب مختلفة ومتعددة، فمنهم من تطرق إلى جوانب تنظيرية تشخيصية واصفة، ومنهم من تحمّل أعباء رصد واقع التعليم عن بعد من خلال تطبيقات مختلفة، من بين هذه الدراسات نذكر: أطروحة دكتوراه تحت عنوان "أثر إدارة المعرفة في تطوير التعليم عن بعد : دراسة حالة جامعة السودان المفتوحة في الفترة 2010 – 2014" من إعداد حاتم عبد الماجد محمد أحمد، ودراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير موسومة بـ "سياسات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات نحو استراتيجية وطنية لتوظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم العالي" من إعداد بادي سهام، ورسالة دكتوراه أخرى بعنوان "تصور مقترح لرفع الكفاءة الداخلية النوعية لعمادات التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في الجامعات السعودية" لحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله العجلان.

2. التعليم عن بعد (ماهيته، نشأته ونظوره، مختلف أشكاله، مبرراته، أهدافه):

2.1. مدخل مفاهيمي حول التعليم عن بعد:

2.2.1. مفهوم التعليم Enseignement:

أصبح التعليم ضرورة يُنادي بها الأمم خاصة المتطورة منها، باعتبار التعليم هو الحلقة الرابطة بين الأشخاص من حيث تطورهم على المستوى الذاتي، وعلى المستوى الأوسع في مختلف المجالات والقطاعات، فذلك كله مرهون بتطور العلوم، وخير دليل على فعالية التأسيس للتعليم والحرص على التعليم، هو الفرق ذاته بين ما يسمى بالعالم المتطور والعالم السائر في طريق التطور، فيعرف التعليم في مفهومه العام على أنه: "عملية تحفيز وإثارة قوى المتعلم العقلية ونشاطه الذاتي، بالإضافة إلى توفير الأجواء والإمكانيات الملائمة التي تساعد المتعلم على القيام بتغيير في سلوكه الناتج عن المثبرات الداخلية والخارجية مما يؤكد حصول التعليم." (فريدة، 2009، صفحة 55)

فالتعريف أعلاه وارد في إطار عام، والذي يؤدي بدوره إلى إنتاج مفهوم خاص للتعليم وهو؛ بحيث نمهد مباشرة للتعليم كنظام Education as a system؛ والذي نعني به: " ذلك الهيكل الهرمي للأنشطة التعليمية المستمرة التي يتم القيام بها من خلال المؤسسات، والتي تمتد من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة." (عبد فلية و الزكي، 2004م، صفحة 112)

وعليه فإنه مهما تعددت المفاهيم والصيغ التعريفية للتعليم إلا أنه لا يخرج عن كونه عملية منظمة تشترك فيها مجموعة من الأطر والهيكل المسؤولة عن العملية التعليمية، ومساهمة الأشخاص الفاعلين في تغيير أو تقويم سلوكيات الأفراد وإرشادهم.

2.2.2. التعليم عن بعد Distance Learning - Distance education:

يستدعي قولنا التعليم عن بعد مقابلاً له وهو التعليم التقليدي أو ما يسمى بالتعليم النظامي الوجاهي، والذي يمارس هذا الأخير في بيئة مغلقة خاضعة لنظام معين وهيكل خاصة، غير أن التعليم عن بعد مصطلح يتجلى مفهومه عكس المفهوم التقليدي للتعليم؛ أي أنه عكس التعليم النظامي مستقل من قيوده. يعدّ هذا النوع من التعليم من حيث هو تطبيق إجرائي معمول به في الواقع التعليمي التربوي حقيقة غربي النشأة، فنقله إلى العربية أو تعريبه يصطدم كغيره من العلوم والنظريات المعرفية الغربية المعربة بجملة من المصطلحات المختلف فيها، وذلك تبرره رويتان الأولى حسب رؤية وتأويل المترجم أو الناقل إلى اللغة العربية، أما الثانية فيعكس المترجم الاختلاف ذاته الوارد في اللغة الأم للمصطلح المراد نقله، وهذا ما شهدته عبارة التعليم عن بعد.

فمن بين هذه المصطلحات التي اصطلح عليها في العربية نذكر ما يلي:

- أ. التعليم المفتوح Open Learning
- ب. التعليم البيتي Home Study
- ت. الدراسات المستقبلية Independent Study
- ث. الدراسات الإضافية External Study
- ج. التعليم التكنولوجي Technology Study (الخفاجي، سامي، 2015، صفحة 21).

يظهر جلياً أنّ هذا المفهوم شهد اختلافات عديدة على مستوى التسميات مما يعكس الاهتمامات التي حظي بها من قبل التربويين من جهة، وما يتميز به كل مصطلح عن آخر من جهة أخرى، لكن ارتأت الباحثة أنه تى بين هذه التسميات التي أوردتها الباحثون في المجال على أنها مسميات واحدة لمفهوم واحد، أنه هناك فروقات طفيفة منها ما اتصف بالخصوص نحو: التعليم البيتي Home Study ، بالإضافة إلى أنه مصطلح خصّ به تعليم الأطفال قبل بدايات التعليم النظامي من طرف الباحثين، ومنها ما اتصف بالعموم كمصطلح التعليم المفتوح Open Learning، وهناك ما يميّزه بالوسيلة المستعملة فيه نذكر التعليم التكنولوجي Technology Study .

يعرّف التعليم عن بعد على أنه: " نوع من التعليم للمقيمين في مناطق نائية أو معزولة جغرافياً، ويقدم إلى الذين لا تسمح ظروفهم الخاصة الانتقال على الأقسام الدراسية." (فريدة، 2009، صفحة 56). يستساغ من خلال هذا الطرح، أن التعليم عن بعد هو ميكانيزم بديل تتخذه الدول كبرنامج في إطار تعليمي لصالح الشرائح التي استحال عليها ممارسة التعليم النظامي المقيد. ونجده أيضاً يرد على أنه: "برنامج تعليمي منظم لا يتواجد فيه المعلم والدارسون في نفس المكان" (ج نيوباي، تيموثي، دليمان، د.ت.)؛ وهذا تعريف يحدد أسس التعليم عن بعد ويربطه بعامل الزمن والمكان فقط.

وتقول فيه سارة العريني في كتابها التعليم عن بعد: " إنّ التعليم عن بعد نمط تدريسي معتمد على التعلم الذاتي، مساند بالتكنولوجيا الحديثة يسعى للاتفاق ويعمل على نقل المادة التعليمية والتفاعل الأكاديمي المباشر وغير المباشر بين المعلم وطلابه وبين الطلبة مع بعضهم متخطياً العوائق الزمانية والمكانية." (ج نيوباي، تيموثي، دليمان، د.ت.، صفحة 594).

وعليه فتعريف سارة العريني للتعليم عن بعد نخرج منه بخاصيتين جديدتين بالإضافة إلى الخصائص السالفة الذكر، وهما كون التعليم عن بعد تعليم ذاتي؛ بحيث يعتمد في المتعلم على نفسه في البحث عن المادة ومعالجتها، وحفظها.. إلخ، أما الخاصية الثانية كونه مساند بالتكنولوجيا؛ وتتمثل من خلال استعمال التكنولوجيات بمختلف أنواعها لتبليغ الرسالة.

وترصدته منظمة اليونسكو الإقليمية للتربية في الدول العربية كونه: " عملية نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيدا أو منفصلا عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية، وتستخدم التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين الطرفين مما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجها لوجه." (حجازي، 2020، صفحة 14).

يُصور التعليم عن بعد لدى منظمة اليونسكو على أنه صورة مكافئة أو مطابقة للتعليم الكلاسيكي النظامي؛ وتجلى ذلك في أنه لا بد حتى لمهارات وسلوكيات الأستاذ أن تُنقل للطالب مقر سكنه وليس المعرفة فقط، ويعدّ هذا التعريف تعريفا شاملا عاكسا لحقيقة التعليم عن بعد.

ولا يمكننا تحديد ماهية التعليم عن بعد دون رصد أهم وجهات النظر للبحث الغربيين باعتبار هذه الفكرة منبثقة عن فكر غربي، وإن صح التعبير نقول أنه تطبيق غربي على غرار أصل الفكرة، وعليه سنرصد بعضا منها فيما يلي:

فيعرفه كومبر أن: " التعليم عن بعد مسمى غير نمطي يشمل طرق عديدة من طرق وأساليب توصيل المضمون بعيدا عن أسوار المدارس والكلية التقليدية إلى دارسين موزعين توزيعا جغرافيا كل منهم بعيدا عن الآخر، ومختلفين في أعمارهم ولكن لديهم الدوافع لاكتساب المعلومات وتصل إليهم من خلال المطبوعات والمراسلات والإذاعة والتلفزيون وغيرها." (عامر، 2013م، الصفحات 5-6).

يعدّ تعريف كومبر تعريفا نموذجيا؛ بحيث يرى في مصطلح التعليم عن بعد مسمى غير نمطي أي أنه غير موحد أو غير محصور في قالب مفهومي واحد، فقد يتغير تعريفه بتغير البيئة والأشخاص، أو تطور التكنولوجيا، ويضيف عنصرا مهما كون التعليم عن بعد متاح للجميع مهما بلغت واختلفت أعمارهم.

واختصرته الجمعية الأمريكية للتعليم عن بعد في أنه: " توصيل لمواد التدريس أو التدريب عبر وسيط نقل تعليمي إلكتروني الذي قد يشمل الأقمار الصناعية، أشرطة الفيديو، الأشرطة الصوتية، الحاسوب أو تكنولوجيا الوسائط المتعددة أو غير ذلك من الوسائط المتاحة لنقل المعلومات." (عامر، 2013م، صفحة 6).

فهذا التعريف يربط التعليم عن بعد فقط بالوسائل الحديثة والوسائط التكنولوجية، فهو يعتبر تعريفا قاصرا نوعا ما.

ويقول مايكل مور Micahael moor في التعليم عن بعد أنه: " مجموعة من طرائق التدريس التي يكون فيها سلوكيات التدريس منفصلة جزئيا عن سلوكيات التّعلم، ويكون من الضروري توفير المواد المطبوعة والأجهزة الإلكترونية والأدوات والوسائل الأخرى لتسهيل عملية الاتصال بين المعلم والمتعلم." (عامر، 2013م، صفحة 6).

يرى مايكل مور أن التعليم عن بعد أساسه فصل جزئي لما يقوم به المعلم من مهام واستراتيجيات تخدم التدريس عن نشاطات المتعلم، ويتضح أيضا أنّ هذا الفصل هو فصل جزئي؛ أي قد يشهد التعليم عن بعد بعض اللقاءات بين طرفي الهرم البيداغوجي. التكنولوجيات بمختلف أنواعها لتبليغ الرسالة.

والفكرة ذاتها يعززها القانون الفرنسي رقم 556 لسنة 1971م في تعريفه للتعليم عن بعد فيصوغه على أنه: " ذلك النوع من التعليم الذي لا يتطلب حضور المتعلم بصفة دائمة في قاعات الدراسة وإنما يمكنه الحضور فقط في بعض الأوقات التي تتطلبها عملية التدريس." (عامر، 2013م، صفحة 6).

ونجد تعريفه عند بورج هو لمبرج Borje Holmberg تعريفا جامعاً مانعاً نجمه في النقاط التالية:

- هو التعليم الذي يعطي أنماطا مختلفة من الدراسة على كل المستويات التعليمية التي لا تخضع للإشراف من الأساتذة، ولا يوجد بينهما تفاعل مباشر، وإنما يستفيد الطلاب من خلال التنظيمات الإرشادية والتعليمية غير المباشرة.

- هو نظام بعيد كل البعد عن المواجهة الحقيقية بين الأستاذ والطالب.
- وهو كل نموذج أو شكل أو نظام، لا يخضع لإشراف مباشر مستمر.
- هو نظام للتدريس يكون فيه الطالب بعيد طوال فترة الدراسة؛ بحيث يتعلمون ذاتيا.
- وهو نظام تستعمل في الوسائط التكنولوجية كوسائل تواصل بين الطرفين جهة، ووسيلة للمعرفة محل الأستاذ من جهة أخرى.

- نظام تعليمي يوفر فرص التعليم عن طريق التغلب على معوقات المواقع الجغرافية والالتزامات الشخصية والمهنية التي تمنع الفرد من التعليم. (عامر، 2013م، صفحة 6).

يظهر تعريف بورج هو لمبرج تعريفا واسعا شاملا لكافة العناصر الأساس التي نقول عنها أساس التعليم عن بعد، بادنا بكون التعليم يتجلى في أنماط عديدة، وكذلك بعد المسافة، كما انه تعليم يحث على اجتهاد

صاحبه أي تعليم ذاتي، ولعلّ ما يميز تعريفه كونه أحلّ الوسائل التكنولوجية في محل دائم بديل عن الأستاذ؛ أي أنّه لا يخص هذا النوع من التعليم بقاءات بين الحين والآخر.

يترتب عمّا جمعناه من تعريفات تتضارب أدبياتها بين التفصيل والإيجاز، غير أنّها تتفق كلها على مجموعة أساسية من الشروط والتي تعد ضرورية لقيام هذا النوع من التعليم نذكرها على النحو التالي:

- فالبند الأول الذي يجعل من التعليم تعليمًا عن بعد، هو البعد المكاني والزمني؛ بحيث يتوجب فيه الفصل بين المعلم والمتعلم.

- التعليم عن بعد يستوجب ضرورة توفر حلقات الوصل بين الأطراف التعليمية، والمتمثلة في مجموعة الوسائط المطبوعة منها والإلكترونية على اختلاف أنواعها وأصنافها، غير أن هناك من يربط التعليم عن بعد فقط من خلال الوسائط التكنولوجية الحديثة فقط مثل: الجمعية الأمريكية للتعليم عن بعد.

- أما أسلوب المتعلم في تحقيق المعرفة وحصولها في الذهن عن طريق التعليم عن بعد تتم بما يسمى بالتعليم الذاتي، بحيث يكون المتعلم العنصر النشط والمساهم الفاعل في البحث والتقصي والفهم... إلخ، على عكس دور المعلم في التعليم الكلاسيكي يشترط فيه أن يكون ملقنًا أو موجهًا وصانعًا للمحتوى أيضًا.

- كما ننوه من خلال التعريفات أن التعليم عن بعد لا يُحصر فقط بين المعلم وتلميذه فقط، بل تتعدى ممارسته الطلبة أو التلاميذ فيما بينهم؛ وهذا إن دل على شيء فهو يدل على سعة هذا المفهوم على جميع أصعدة التربية والتعليم.

- كما لا يخفى عنا من خلال تعريف سارة إبراهيم العريني كون التعليم عن بعد قد يكون مباشرًا أو قد يكون غير؛ أي يتطلب التعليم عن بعد إرفاقه بمتابعة مباشرة من الموجه من حين إلى آخر، فذلك مما يجعلنا نستذكر نص القانون الفرنسي في هذا الشأن بأن: "إن التعليم عن بعد موقف تعليمي يستلزم حضور المعلم شخصيًا من حين إلى آخر" (حمزة، حمزة، 2007، صفحة 12).

وهذا الأخير حسب رأي الباحثة هو شرط ضروري في التعليم عن بعد، فهو يعطي التعليم عن بعد مصداقية أثناء الممارسة البيداغوجية.

كما لا يمكننا إغفال أن هذه التعريفات المتعددة لا تعكس اختلافات أو تضاربات في بُنى التعليم عن بعد، وإنّما على العكس من ذلك فنجدها تكمل بعضها بعض، ففي الحقيقة لا يمكننا ضبط مفهوم التعليم عن بعد ضبطًا ثابتًا، فتغيره وتطوره يحكمه تطور الأمم، من حيث وسائله وأدواته وطرائق إنجازها.

كما يمكننا استنتاج من خلال هذه المبادئ والأساسيات التي يتطلبها التعليم عن بعد، يمثل الشيء ذاته في التعليم الواقعي الكلاسيكي؛ وذلك من حيث العناصر الفاعلة، والمحتوى والأطراف... إلخ، مما يمكننا جعلهما في كفة التقابل؛ وذلك بغية وصفه على أنّه طريقة مثلى ناجحة يمكننا الاستعانة بها.

2.3. نشأة التعليم عن بعد ومراحل تطوره:

2.3.1. نشأة التعليم عن بعد:

قبل الأخذ والخوض في سرد حيثيات نشأة التعليم عن بعد لابدّ لنا رصد كيف كان يتم التعليم في القديم وخاصة بعد ظهور الإسلام الذي أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى فناءات العلم والمعرفة، خاصة بعدما أوصى نبينا الكريم بفضل العلم فأصبح العلم مطلباً أقرّ بضرورته الشارع، فأخذوا يتدارسون القرآن الكريم ويحفظونه، ويفسرون أحاديث النبي، فعرف عن السلف ممن أصبحوا علماء وفقهاء وبجالسون ويلازمون مشايخهم طلباً في علمهم وسعيًا لكسب معارفهم، فكان المعلم قدوة طالبه في العلم والسلوك والأخلاق، فهي أولى الدروس إلى فرض على طالب العلم أن يلقتها فهي حليته، يقول الشيخ بكر أبو زيد في هذا الشأن: "الأصل في الطلب أن يكون بطريقة التلقين والتلقي عن الأسانيد، والمثاقفة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب..." (عبد الله أبو زيد، 2002، صفحة 31).

ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه يقول: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك" (ماجد، 2002، صفحة 137).

وعليه فإن ما سبق طرحه يعكس طلب العلم، والذي كان بأساليب تقليدية، أو نقول أنها كانت معاصرة لزمان غير زماننا، تجلت فيه طرق التلقي والملازمة من طرف الطالب والتلقين من المعلم؛ أي عن طريق اللقاء المباشر بين المعلم وتلميذه.

لكن انتقال الزمان يتبعه تجديد في الحضارة، وتعاقب لأساليب معيشية مختلفة، وكذا في طلب العلم، فبعد ما عهده طالبوا العلم من مشقة للبدن، وتعبد للنفس وبذل للنفس في سبيل العلم، ورمق المعرفة والعلوم من أفواه العلماء، ثم مع ظهور الطباعة والكتاب أصبح يغني عن ذلك، فأضحى لطلاب العلم مناهل وتعين تكبدهم عناء السفر والجهاد العلمي، فتلقى العلم بات متأتياً من بطون الكتب قد تغنيهم عن السفر للقاء

مشايخهم، على الأقل لفترات متباعدة من الزمن، وعليه فقد تُعدّ هذه السبل أول المنعطفات لولادة نمط جديد في التعليم والتعلم، وقد تعدّ هذه الممارسات الأولى لظاهرة التعلم عن بعد. ثم أخذت الطرائق تتنوع تنوع النظم التعليمية، والأساليب تتطور خاصة مع إمكانيات التوصيل من طرف مراكز البريد، ثم مع الثورة التكنولوجية وظهور الحاسوب والأقراص المضغوطة والمرنة وأشرطة الفيديو وغيرها، ثم ظهور الإنترنت والتي صغرت العالم على مستوى التواصل وكذا مجالات عديدة، وأصبح العلم متاحاً، فاختزل المسافات وبَدّد معيقات التنقل للأماكن والمؤسسات التعليمية وهذا ما مهد لظهور التعليم عن بعد كتجليات فقط في الممارسة.

أما تَمْظَهر هذا البعد التّعليمي كتنقية وآلية منهجية مؤسس لها ولشروطها متزامن وظهور التّعليم عن طريق المراسلة لأشخاص لم تُسْعِفهم قدرة مزاولة تعليمهم بشكل طبيعي نظامي، وذلك لأسباب عديدة قد تكون جغرافية، اجتماعية، مادية، أو حتى صحية...إلخ.

سنسعى في هذه الورقة البحثية ترتيب وتتبع تاريخ نشأة التعليم عن بعد تتبعاً متسلسلاً متعاقباً، فبؤادر نشأته الأولى لم تكن وليدة الصناعات التكنولوجية العصرية، وإنما ظهوره كان حقيقة ممتد قبل مائتي عام، نحصرها ما بين تاريخ (1728-1729م)، على يد كاليب فيليبس -Cleb Philips؛ حيث كان يقدم دروساً أسبوعية عبر صحيفة بوسطن جازيت (Correspondence Class) (حجازي، 2020، صفحة 15).

يظهر أن التعليم عن بعد ارتبط لأول مرة بمقالات الصحف، أي عن طريق المطبوعات، كما فيمكننا وصف هذه المبادرة بأنها خطوة حرة، ربما لم يكن وعياً أنهم يمارسون ما يسمى بالتعليم عن بعد. ثم تتواصل ظهور ملامح أخرى للتعليم عن بعد في أواسط القرن التاسع عشر (ق19) بعد حوالي أزيد من قرن من الزمن بعد الظهور الأول له كما أشرنا أعلاه؛ بحيث يرجع البعض منهم ظهور هذا المصطلح من جديد بظهور المؤسسات البريدية، ويرى آخرون أن ظهور هذا النمط من التعليم بما يسمى بـ: "دروس الاختزال بالمراسلة المنظمة من طرف إسحاق بتمان سنة 1840م ببريطانيا" (عامر، 2013م، الصفحات 11-12).

لكن حقيقة لا يمكننا الإقرار بأنه يوجد اختلاف حول نشأة التعليم عن بعد؛ فيما أوردناه في النص أعلاه حول حيثيات الانطلاقة الأولى للتعليم عن بعد؛ فنجد حقيقة أن التعليم عن بعد ظهر في دروس المراسلة والتي تعدّ مراكز البريد المسؤولة عن إيصال هذه الدروس والامتحانات إلى الطلبة، وبثها في شكل مطبوعات أو جرائد...إلخ.

أما تجليات التعليم عن بعد وفق الأطر البيداغوجية التربوية تجسّدت لأول مرة من خلال إنشاء معهد توسان ولاجتشيد ببرلين عام 1856م، وهو معهد متخصص في تعليم اللغات، وكان أول مؤسسة للتعليم بالمراسلة بالمعنى الصحيح للكلمة. (عامر، 2013م، صفحة 12)؛ تعني بذلك أنه بدأت ترسخ مبادئ التعليم عن بعد بشكل نظامي مخطط له.

ثم استخدم التعليم عن بعد في مرات عديدة، وفي مراكز تعليمية رسمية أخرى، إلا أنه بقي سائداً في صورة التعليم عن التعليم بالمراسلة، فاستخدمته بريطانيا في جامعة لندن عام 1858م، وكذلك اعتدت به الولايات المتحدة الأمريكية في شيكاغو بجامعة وسكنش وذلك عام 1892م، (عامر، 2013م، صفحة 12).

فاستخدم المراكز الرسمية لنظام تعليمي جديد والمتمثل في التعليم عن بعد أو بالمراسلة يضمن له انتشاراً في استخدامه واستمراره في جل الجامعات والمؤسسات الرسمية.

ثم انتقلت فكرة التعليم عن بعد إلى مستويات أخرى ووسائل متنوعة، كالوسائل السمعية كجهاز الراديو، وكان ذلك عام 1922م حين بدأت جامعة بنسلفانيا بأمريكا بتقديم عدد من المقررات عبر جهاز الراديو (عامر، 2013م، صفحة 12).

لم تتوقف حدود التعليم عن بعد، بل تعدّت بذلك من أجهزة السّمع إلى الوسائل السّمعية البصرية المتمثلة في جهاز التلفاز، ففي عام 1961م، تبنت مصر هذه التجربة من خلال تقديم برامج تعليمية مسائية بأسلوب ضيق نوعاً ما، بالإضافة إلى برامج تعليمية في اللغات والعلوم لمدة نصف ساعة يومياً وذلك سنة 1963م. (عامر، 2013م، صفحة 12). وهذه تعكس صورة أخرى في انتشار التعليم عن بعد في العالم العربي.

وتستمر تجارب التّلفاز في الاهتمام ببيت الدروس التّعليمية عن بعد، إذ أطلقت جامعة ستانفورد مبادرة عام 1968م، أي بعد التجربة المصرية العربية، أسمتها بـ: **The Staford Instructional Telvision Network** لتقديم مقرّرات لطلاب الهندسة عبر قناة تلفزيونية. (حجازي، 2020، صفحة 15).

فما نلاحظه من التجريبتين السّمعية والسّمعية البصرية، هي محاولة تقدم دروس نظامية من الجامعات إلى الطلاب، وليست إضافات للاستزادة العلمية، وهي كلها عبارة عن محاولات من طرف هذه المؤسسات لترقية التعليم بأي طريقة كانت.

ثمّ لا يزال الجهد الإذاعي والتلفزيوني متواصلا في محاولات متكررة لتقديم برامج الجامعات والمؤسسات التعليمية خاصة في مرحلة أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات، فنجد مصر تتبنى مشروعان في هذا المجال:

الأول؛ اهتم بتأهيل معلّمي المراحل الابتدائية للمستويات الجامعية، بدأت الدراسة عام 1983م، التحق بالبرنامج حوالي 5800 دارس، فتخرج أول فوج محققين بذلك نجاحا في هذا البرنامج، وذلك ما بين سنتي 1986م-1987م.

والثاني؛ تمثل في برنامج التعليم الجامعي المفتوح بكلّيات التجارة والزّراعة وذلك ما بين 1990م-1991م في جامعات الإسكندرية القاهرة وأسيوط. (عامر، 2013، صفحة 13).

لم تتوقف تجارب التعلم عن بعد عند حدود التّلفاز، والبيت الإذاعي، بل لا تزال مستمرة استمرار التطور في مجال التكنولوجيا الجديدة، تمثلت في الكمبيوتر ومختلف مداخلاته ويعرف بـ: **Computer Assisted Intruction** وذلك عام 1992م، والذي شهد انتشارا أوع للتعليم عن بعد، ومع اكتساح العالم ومؤسّعته عن طريق الشّابكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث بدأت ظهور أنظمة إدارة التّعلم (LMS)، نحو: **Canvs- Black board** سنة 1999م. (حجازي، 2020، صفحة 15).

ثم توالى العديد من الإمكانيات والمحاولات العالمية، وتوسعت برامجها على نطاق أبعد مما هي عليه، ففي 2002م، أطلق معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا مبادرة المقرّرات المفتوحة **MIT Open Course**، ضمّ حوالي 2000 مقرّرا مجانيّا تستفيد منه 65 مليون مستفيد موزعين على 215 دولة، ثمّ "أكاديمية خان" والتي ضمت 71 مليون مستخدم سنة 2008م. (حجازي، 2020، صفحة 15)

فما نلاحظه من التجارب الرّائدة في تقنين التعليم عن بعد والسير به قدما، وبناء صرحه عاليا، أن هذه التجربة هبّت ريحها في مختلف بقاع الأرض واكتفتها جل الجامعات والمؤسسات، فهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على نجاعتها في توصيل المعرفة، وحسن إيصال مقرّرات وأعمال وأبحاث هذه المؤسسات. وصفوة القول؛ فإنّ نشأة التعليم عن بعد ليس وليد الحاضر، وإنّما هو ممارسة كانت منذ زمن بعيد، فقدمه قدم الاهتمام بالعلم والمعرفة والتّدريس.

وما يمكن ملاحظته من خلال ما سبقناه، أنّ التّعليم عن بعد مرتبط تطوّره كل الارتباط بتطور الوسائط المستخدمة فيه، فانطلقت العملية من المطبوعات نحو الجرائد، ونقل دروس المراسلة متزامنا بظهور مراكز البريد، إلى الوسائل السّمعية كالرّاديو، إلى الوسائل السّمعية البصرية المتمثلة في التّلفاز، وصولا بذلك إلى ظهور الحواسيب والانترنت؛ أي أن تطور هذا النمط التعليمي مرهون التكنولوجيا ووسائل التواصل بمختلف أشكالها.

وأهم ما يمكن الحديث عنه وهو التجربة العربية خاصة المصرية، والتي أعطت التعليم عن بعد نموذجا جديدا؛ تمثل فيما خُصّ بتقديمه من دروس للأستاذة بغية تأهيلهم، مجددين في نمطية فكرته التي وجهت للطلاب فقط، وعليه فإن هذه الصيغة الجديدة تقيدها في تمثّل هذه التجربة في العديد من المهام كالاكتفاءات والنّدوات والملتقيات العلمية...إلخ.

كما لا يمكننا إغفال الجهود المصرية التي كانت السّابقة في تبنيتها للتعليم عن بعد خاصة البث الإذاعي والتلفزيوني، والتي جعلت بدورها أن تكون التجربة رائدة في رحاب القطر العربي، وليست حكرا على المجتمع الغربي فقط.

ولا تزال مجهودات ترقية هذا المجال مستمرة نصرة للعلم من جهة، وكوسيلة بديلة لتسيير مهام التعليم والتربية والمؤسسات من جهة أخرى.

2.3.1. مراحل تطوّره:

عرف التعليم عن بعد منذ البدايات الأولى في نشأته وتبلور فكرته من 1729م، وصولا إلى ما هو عليه الآن نضجا في وسائله وصيغته، وتطورا في استخدامه، كما أشرنا سابقا فبداية من التعليم بالمراسلة عن طريق

المطبوعات والكتب، إلى ما جادت به آليات العصر الحديث من وسائل تكنولوجية، تتلخص هذه المراحل في أربع أجيال أو محطات:

1. الجيل الأول:

تميّز الجيل الأول بتجلي التعليم بالمراسلة The Correspondance Learning، ارتبط ظهوره بظهور المراكز البريدية، كما شهدت ممارستها عدم تفاعل بين المعلم والمتعلم، وعرف التعليم بالمراسلة استخدام الوسائل المطبوعة.

2. الجيل الثاني:

عهد الجيل الثاني نقلة ثرية على مستوى الوسائل التي تمكنهم من استعمال التعليم عن بعد، وتعدّد لمصادر المعلومات، فانطلقت من الوسائل المطبوعة إلى وسائل أكثر عمومية كالإرسال الإذاعي، والبلث التلفزيوني التعليمي، واستخدام الحواسيب والأقراص الممغنطة، كما نلمس في هذه المرحلة بدايات وسمت بالتفاعل بين طرفا المثلث التعليمي.

3. الجيل الثالث:

عُرف الجيل الثالث بطفرة في مصادر وتكنولوجيا المعلومات، ومصادر الثورة المعرفية، فأصبحت الاستخدامات واسعة في مجال الإنترنت، والتواصل عن طريق البريد الإلكتروني، وإرسال الدروس عبر منصات الويب، فسُجل في هذه المرحلة تفاعلات بين هيئة التدريس والمتعلم، كما لا نغفل أنّ مرحلة الجيل الثالث ساوت بين التعليم الواقعي والتعليم عن بعد من خلال تبنيها لمجموعة من النظريات التربوية وتطبيقها.

4. الجيل الرابع:

تبني الجيل الرابع بما يصطلح في تسميته التعليم التفاعلي المرن، بواسطة الاستخدام الأدوات الأكثر تفاعلية؛ نحو مؤثرات الفيديو، أنظمة إدارة المتعلم المتقدمة، كما يتم التفاعل ضمن هذه المرحلة عن طريق الغرف الافتراضية، واللقاءات الالكترونية المباشرة. (عابد، 2014، صفحة 5).

يتضح جليا من خلال ما تم استعراضه حول التطورات المرحلية التي عهدها مسيرة التعليم عن بعد، أن هذا التطور حقيقة هو تطور في الوسائل، والذي ينتج عنه بالضرورة ولادة لنوع جديد من التعليم عن بعد، كما يتضح لنا من خلال الواقع الحالي أنّه حاليا لا يمكننا إهمال أيّا من الوسائل التي سبق الإشارة إليها، فلا زال الواقع التربوي يشهد بالأوراق والكتب المطبوعة إذ أن التعليم بالمراسلة هو أقدم الأنماط وأكثرها نظاما؛ بحيث ترسل الهيئات المكلفة الكتب والامتحانات وتجرى في آخر السنوات امتحانات التقييم، فيبدو أنها أكثر أنواع التعليم عن بعد ممثلة ومحاكية للواقع، كما لا يزال البث الإذاعي يواصل مهمته، والتلفزيون يقدم دعمه من خلال بعض القنوات التعليمية مثل: فضائيات التعليمية المصرية.

إذا فإنّ أيّا من هذه المراحل هي تتمة لمرحلة تليها، فلا يمكننا فصل واحدة عن الأخرى وإنما ربط جميعها للوصول إلى تجربة ناجعة في هذا المجال.

2.3 أشكال التعليم عن بعد:

يُعدّ مصطلح التعليم عن بعد مصطلحا عاما شاملا، فهو ينبني على أهم عاملين وهما بعد المسافة، واختلاف الزمن، غير أنّ أشكاله تتعدّد، وطرائقه إنجازته تتنوع وتختلف، واختلافها هذا معتمد بتقدم الزمن، فهذا الأخير إذا تعدّد أشكاله وأنماطه حسب منطلقاته ووسائله، فيمكننا إحصاء أشكاله وفقا لأبعاده قد تتموضع حول النقل المعرفي، أو نحصرها نظرا لخصائصها، وهذا ما نجمله في الأسطر الآتية:

2.3.2 التعليم عن بعد من حيث النقل:

أ. التعليم المتزامن Synchronous Learning:

وهو الذي يتطلب فيه اجتماع المعلم والمتعلم في الوقت نفسه، وبشكل متزامن ضمن بيئة تعليمية حقيقية، وذلك من خلال لقاءات عبر الوسائل الإلكترونية؛ بحيث يتمكن من خلاله المناقشة، والمشاركة والتفاعل النشط بين الأطراف، والحوار وطرح الأسئلة كذلك، وذلك باستخدام اللوح الإلكتروني أو الغرف الافتراضية.

ب. التعليم غير المتزامن ASynchronous Learning:

مسمّاه يحمل دلالاته؛ يتّصف هذا النوع من التعليم كونه متحرّر من ضوابط الزمن، كما تتم العملية خارج نطاق البيئة التعليمية، فيتمثّل دور الهيئة العلمية في رفع المحاضرات أو الدروس وحتى بعض الامتحانات التقويمية والأنشطة على الشبكة أو المواقع التعليمية الخاصة بالأستاذ ذاته

أو بالمؤسسة أو الكلية، فيرجع المعني إليها وقتما وحيثما يشاء، ويتابع المتعلم إرشادات وشروط التعليم، وذلك كله دون لقاء مباشر أو متزامن (حجازي، 2020، الصفحات 23-24). كما يطلق على هذين الصنفين تسميات أخرى أو مصطلحات ثانية؛ فالتعليم المتزامن Synchronous Learning يصطلح عليه أيضا بالاتصال المباشر، أما التعليم غير المتزامن ASynchronous Learning فيطلق عليه بالاتصال غير المباشر أو غير المتجانس (الخفاجي، سامي، 2015، صفحة 21)

نخلص إلى أنّ الفارق بين نوعي التعليم عن بعد المصنفين وفقا للاتصال المباشر وغير المباشر، هو فارق الزمن؛ فالأول يتطلب اجتماع المعلم والمتعلم في آن واحد، أما الثاني فهو على العكس من ذلك، غير أنّ كلاهما مجديا في التعليم فيمكننا الاستعانة بالتعليم المتزامن في الحالات العانة والرئيسة كتقديم الحصص التعليمية من أولها مثل ما أجبرنا على العمل به في ظل الأوقات الرأهنة للتصدي لجائحة كورونا Covid19-، والمتمثل في تنفيذ العديد من البرامج التعليمية من خلال التواصل المباشر، أما النمط غير متزامن أو غير المتجانس، قد يكون ثانويا ورئيسا معا لكنه إيجابي؛ فعني بثانوي أي أن نسخره في خدمة التعليم الكلاسيكي متماشيا وإياه، فيتلقى المتعلم دروسه نظاميا أما بقية التفاصيل الأخرى، نحو: التوقيت، الملخصات، المحاضرات... إلخ، فتتشر هذه الأخيرة أو ترسل في بريد الطالب، أو مواقع الكليات.

كذلك يمكننا التصريح حول التعليم عن بعد غير المتجانس هو أقل كلفة من التعليم المباشر فهو لا يتطلب تدفقا عاليا لحجم الإنترنت، وهذا يتناسب بصراحة مع وضع البلدان السائرة في طريق النمو.

2.3.2. التعليم عن بعد وفقا لخصائصه وأدواته:

3.2. التعليم عن بعد وفقا لخصائصه وأدواته:

أ. التعليم بالمراسلة The Correspondance Learning:

يعدّ التعليم بالمراسلة أقدم وأول أنواع التعليم عن بعد، تكمن حقيقته في أن ترسل جهات معينة مواد تعليمية إلى المتعلم من غير حدوث تفاعل أو نقاش أو لقاء. (لخضر، 2017، صفحة 330). كانت الممارسة الأولى للتعليم بالمراسلة عن طريق البريد، فهو فرصة ثانية لمن لم تسعفه فرصة التعليم الوجاهي، فنظرا لمزاياه فهو يعين المتعلمون بمراسلات تقدم لهم، لذا لا بد من الحرص على تطويره والمحافظة عليه، ولا بد من بقائه نموذجا لصيقا بالتعليم النظامي أيضا؛ أي إضافة لما نسعى له في الصفوف ندعمه بالمطبوعات التي تصل التلميذ بيته خاصة في فترات العطل و أثناء بعد التلاميذ عن مقاعد.

ب. بالتعليم الإلكتروني E-Learning:

التعليم الإلكتروني شكل من أشكال التعليم عن بعد، يقوم على استخدام آليات الاتصال الحديثة كالحاسوب والشبكات والوسائط المتعددة وبوابات الانترنت والرسومات والمكتبات الإلكترونية، وذلك بغية إيصال المعلومات للمتعلمين بأسرع وقت وأقل جهد وتكلفة. (شذى، د.ت، صفحة 504) إذن؛ فالتعليم الإلكتروني يبنى أساسه على ما أنتجته لنا التكنولوجيا في العصر الحديث.

كما تحدّد منظمة اليونسكو- UNESCO 1967 مفهومها للتعريف الإلكتروني على أنه: "توظيف للأنشطة والبرامج التربوية بين عضو هيئة التدريس والمتعلم باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والتجهيزات التكنولوجية بهدف إحداث تغييرات سلوكية لدى المتعلم." (عبد الرؤوف، 2014م، صفحة 28).

وفي خضام تعدّد التعريفات والمفاهيم سنورد تعريفا ارتأت فيه الباحثة شمولية ودقة، إذ تعرضه **سعديه الأحمرى** على أنه: "نظام تفاعلي للتعليم من بعد، يُقدّم للمتعلّم وفقا للطلب On Demande، ويعتمد على بيئة إلكترونية رقمية متكاملة، تستهدف بناء المقررات وتوصيلها بواسطة الشبكات الإلكترونية، والإرشاد والتوجيه، وتنظيم الاختبارات، وإدارة المصادر والعمليات، وتقويمها." (سعديه، بدون تاريخ، صفحة 8)، فإضافة إلى أنه تعليم قائم على الوسائل الإلكترونية بشئى أنواعها، إلا أنّ هذه الأخيرة ترصده كونه تعليم يحاكي التعليم النظامي؛ وذلك أنّه يعتمد على التعليم والتوجيه، والاختبارات، والتقويم كآخر عملية للتعليم بشئى أنواعه.

أما التعلّم الإلكتروني والمتمثل في نشاط الطالب يعرفه **الموسى عبد الله عبد العزيز** على أنه: "كلّ ما يكتسبه الفرد من معلومات وخبرات تؤدي إلى تغيير في سلوكه نتيجة استخدامه آليات الاتصال الحديثة من حاسوب ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وفيديو وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وحوار مفتوح وكذلك بوابات الإنترنت سواء عن بعد أو في الصف." (أمين، 2011، صفحة 119).

فضلا إلى أنّه تعريف للتعلّم الإلكتروني، إلا أنّه يضيف نقطة مهمّة؛ كون التعلّم الإلكتروني آلية تخدم التعليم على مصراعيه سواء كان تعلمًا عن بعد أو تعليمًا تقليديًا.

ت. التعليم المفتوح Open Learning-Open Instruction:

حقيقة هناك الكثير من الباحثين من يجمعون بين التعليم عن بعد والتعليم المفتوح على أنهما وجهين لعملة واحدة، أو كون التعليم المفتوح أعم وأشمل من التعليم عن بعد، غير أننا نقول أنه بين التعليم المفتوح والتعليم عن بعد فروقات طفيفة لا يمكن إغفالها، بحيث ارتبط التعليم عن بعد بالمرحلة التعليمية النهائية (المرحلة الجامعية)، أما الثاني فهو يرتبط بكافة مراحل التعليم، أما كون التعليم المفتوح أعم وأشمل يمكننا القول بها فقط من ناحية أنه نمط يقبل فيه تعليم الأشخاص دون النظر إلى سنهم أو خصائصهم فو تعليم مفتوح لكل الراغبين به فهو تعليم جماهيري غير مقيد، أما من ناحية تماثلاته في الواقع التعليمي الجامعي وطرائق إنجازه فهي جُلّها نادى بها التعليم عن بعد من وسائل متعددة ووسائل تكنولوجيا، وأساليب وطرائق متجانسة وغير متجانسة.

ضف إلى ذلك السبق الزمني لظهور التعليم عن بعد فهو أبعد من ظهور التعليم المفتوح الذي ارتبط بالجامعة البريطانية عام 1963م. (دويكات، د.ت، صفحة 9).

يعرّف لويس روجر- Lewis Roger التعليم المفتوح على أنه: " هو التعليم الذي يتخذ فيه الدّارس القرارات بنفسه، كاختياره لمحتوى الدّراسة، والطريقة وأسلوب التّعليم، ومكان التّعلم والخطو الذاتي في التّعلم، ومتى يبدأ أو ينتهي من الدّراسة، وغير ذلك الكثير من القرارات المتعلقة بجوانب العملية التّربوية التي سيقبل عليها." (تيسير، 2013، صفحة 35).

سمي التعليم المفتوح بمصطلحات أخرى منها: "التعليم المستقلّ Independent Study، وسمي أيضاً التعليم المنزليّ Home Study، وهو أحد أنواع التعلم عن بعد والذي يُتيح فرصة الالتحاق بالدّراسة لأيّ فرد مهما بلغ من العمر، أو أيّا كان عمله، من دون اشتراط حضوره المباشر. والتعليم المفتوح هو نشاط تعليمي يعتمد على استخدام أدوات التدريس وتم فيه تقليل القيود على الدّراسة من حيث كيفية الحصول عليها أو الوقت والزمان أو معدل التحصيل." (حجازي، 2020، صفحة 18).

وعليه فإنّ التعليم المفتوح هو تعليم عام وهو قائم على فكرة التعليم للجميع دون استثناءات، كما تختلف طرائق التعليم عن المفتوح سواء تم ذلك عن طريق الوسائل التكنولوجية، أو الوسائل التقليدية والمواجهة المباشرة بين الأطراف، أو هما معا.

ث. التّعليم الافتراضي Learning Virtual:

يعدّ التّعليم الافتراضي شكل من أشكال التّعليم عن بعد، يعرّفه العاني 2003م على أنه: " نمط من التعليم أقرب إلى التعلم بالمواجهة كما يجري في الصف إلا أن هذا الصف افتراضي تخيلي غير موجود إلا في برامج الحاسوب الشبكي بالانترنت والويب، وهو يسعى إلى الإتقان والجودة بأقل قدر من الجهد والتكلفة والوقت." (عبد الرّؤوف، 2014م، صفحة 246).

يظهر جليا أن هذا النمط هو نمط غير مقيد بما ارتبطت به الجامعة الكلاسيكية غير أنه مكافئ لها، غير أنه معتمد في أماكن افتراضية وتمثيل افتراضي للجامعة والأشخاص. يشبه التعليم الافتراضي أنواع التعليم الأخرى غير أنه يتم فقط في الغرف الافتراضية أو عن طريق المراسلات والكتب والمكتبات الإلكترونية بعيدا عن أسوار الجامعات، ولا يخرج عنها إلى الواقع، عن طريق جامعات افتراضية من غير مباني أو صفوف.

كما كان هذا النوع من التّعليم سببا في ظهور ما يسمّى بالجامعات الافتراضية يعرّفها ستيف Steve بأنها: "مؤسسة تقدم بشكل مباشر فرصاً تعليمية للطلبة، تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تقديم البرامج والمقررات ودعم التّعليم والتّعلم، كما تستخدمها في عمليات أخرى مثل: الإدارة وإنتاج المواد التعليمية وتوزيعها وتوصيلها في خدمات الإشراف والإرشاد والتقويم." (عبد الرّؤوف، 2014م، صفحة 246).

ج. التدريس عن بعد Tele – Teaching:

يعرّف التدريس عن بعد على أنه: "هو نوع من أنواع التّعليم التّفاعلي عن بعد، ويعتمد على التّواصل المباشر من خلال مؤتمرات واجتماعات مباشرة (Educational Video-Conferencing)" (حجازي، 2020، صفحة 18). يقصد بالمباشر في التدريس عن بعد وهو أن يكون تعليمًا متزامنًا في الوقت ذاته بين أعضاء هيئة التدريس والمتعلم.

ح. التعليم المبرمج Programmed Instruction:

ويسمى أيضاً بالتّعليم البرنامجي رصد لهذا النوع من التعليم تعريفات متعددة إلا أنها تتجدر من منطلقات معينة محدّدة، يعرّف على أنه: "أحد أساليب الدّراسة الذاتية الذي يمكن المتعلّم من التّوجيه الذاتي، والاعتماد على النفس في عملية التّعليم، من خلال برنامج تقسم فيه المعلومات إلى أجزاء صغيرة وتكتب في إطارات، وكل إطار يتطلب من المتعلم استجابة معينة، من ثمّ مقارنتها مع الإجابة الصحيحة، ثم ينتقل إلى بقية الإطارات حتى يصل إلى السلوك المطلوب." (محمّد، 2011، الصفحات 101-102).

نستطيع القول أنه تعليم مبني على مثير مبرمج، ينتظر منها استجابة عن ذلك المثير، ويبرمج حسب السلوكيات المرجوة.

ويعرف أيضا كونه "طريقة من طرق التعلم الذاتي تقود الدارس بالتدريج تحت إشراف المدرس أو بدونه، إلى السلوك المنشود مع اعتبار خصائص هذا الطالب واحترامها، وتقسيم المادة التعليمية المرغوب دراستها إلى وحدات صغيرة، وتقدم للدارس على شكل سلسلة من الإطارات المرتبة ترتيبا منطقيا دقيقا، وتتم هذه البرمجة في عدة وسائل، وتعرض على الطالب في صور متنوعة منها: كتاب مبرمج، آلة تعليمية، أجهزة عرض... إلخ". (سعدي، بدون تاريخ، صفحة 140).

فمن خلال ما عرض من تعريفات لهذا النوع من التعليم نلخص أهم خصائصه في مايلي:

- هو تعليم ذاتي يعتمد فيه على النفس لتعلم سلوك معين.
- تعليم يعتمد فيه على التدرج في طرح المعلومات، وتصاغ برامجه في شكل تعليمات صغيرة.
- يبنى هذا التعليم على مذهب المثير والاستجابة والتعزيز.
- يعتمد فيه على وسائل تعليمية حديثة مبرمجة مسبقا، مما تجعله نمطا من أنماط التعليم عن بعد.
- يعتمد فيه على التخطيط المسبق من طرف أعضاء التدريس.
- قد يعتمد فيه على المعلم، وقد يكون دون ذلك.

فمن خلال ما استرسل في عرضه حول أشكال وأنماط التعليم عن بعد نتوصل إلى أن للتعليم عن بعد أنماط ونماذج تتعدّد وفقا لعدة معايير، منها معيار الزمن وتجلى ذلك في نمطين اثنين، وهناك ما تولد حسب معيار التواصل والوسائل المستخدمة فتفرّع في نماذج متنوعة انطلاقا من التعليم بالمراسلة بواسطة المطبوعات، إلى ظهور التكنولوجيات الحديثة مما انبثق عنها التعليم الإلكتروني والافتراضي والجامعات الافتراضية، والتعليم المفتوح والجامعات المفتوحة، والتدريس عن بعد، بالإضافة إلى التعليم المبرمج، فبفضل هذا التعدّد تخلق فرص للتعليم يختار فيها الطالب ما يتواءم وقواه، كما يساعد الجامعات والأسر التربوية في عدم عرقلة مهامها. كما نلاحظ في جل هذه الأنماط والنماذج أنها أقل كلفة، وأوفر جهدا، وأسرع خدمة، وذلك لأنه يعتمد على الشبكات والوسائط المتعددة الموكبة للوقت الحاضر.

2.5. مبررات ودوافع التعليم عن بعد:

إنّ تبلور فكرة التعليم عن بعد واستمرارية تطويره لم يكن وليد الحظ والصدف، فهو مثل أي ظاهرة خاضعة لقانون مفاده لكل سبب مسببات، حيث انتقلنا من التعليم الكلاسيكي إلى الاستعانة والمرافقة من التعليم عن بعد فتحصر هذه المبررات والأسباب في¹:

1مبررات اجتماعية ثقافية:

لا يزال العديد من أبناء جلدتنا بمختلف أعمارهم، وأجناسهم لا يستطيعون مزاوله دراستهم في المقاعد النظامية بسبب ظروف اجتماعية كعدم تحصيلهم على نتائج تضمن إقبالهم إلى فصول أعلى فيرفضون أليا في السنة المقبلة، أو عدم مقدرة أهاليهم دفع أقساط مدارسهم خاصة في العوالم التي تبتغي التعليم بالدفع، وهناك أسباب ترجع إلى ثقافة الأشخاص كما هو سائد في بعض القرى والمدن يقومون بمنع أطفالهم خاصة البنات من الذهاب لفصول التعليم بغية دفعهم إلى حياة مهنية مبكرة، فقد يجد هؤلاء في التعليم المفتوح والتعليم بالمراسلة ضالّتهم ولو على المدى البعيد، كما قد تؤدي بعض الظروف العالمية أو الوطنية لغلق المؤسسات التربوية وخير مثال ما نعيشه اليوم في ظل جائحة كورونا Covid19.

2مبررات بشرية جغرافية:

عجز المؤسسات النظامية من التكفل التام بكل شرائح المجتمع لمزاوله دراستهم خاصة في المراحل التعليمية الأولى نتيجة تزايد الطلب المتزايد على التعليم والتعليم، أما جغرافيا فقد تفقد بعض المدن نظرا لموقعها الوعر من ممارسة أبنائهم التعليم بشكل نظامي، فيسد التعليم عن بعد حاجاتهم.

3مبررات اقتصادية نفسية:

قد تتجلى المبررات الاقتصادية على مستويين؛ المستوى الأول وهو اقتصاد العائلي والذي قد يعجز في سدّ تكاليف دراسة أبنائهم في أبسط أوجهها ومتطلباتها كمصاريف التنقل، والأدوات المدرسية والكتب... إلخ، وأسباب اقتصادية على المستوى الأوسع وهو اقتصاد الدول، فتطور التعليم مرهون بتحقيق التنمية الاقتصادية للدولة، فبناء المدارس والجامعات وتوفير المقاعد البيداغوجية اللازمة مرتبط باقتصاد الوطن.

عن مبررات الأخذ بنظام التعليم عن بعد في عالمنا العربي، عبد العزيز بن عبد الله السنيّل، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قطر، 2001م، ع137، ص84.

4مبشرات سياسية:

قد تؤدي بعض الاضطرابات السياسية في الإخلال بتوازن التعليم النظامي، يؤدي بالضرورة إلى غلق الجامعات أو مؤسسات التعليم بكامل مستوياته، مثل ما تعيشه أوطاننا العربية، والذي قد يؤدي إلى ظهور جامعات افتراضية أو مفتوحة مثل جامعة القدس المفتوحة والتي تمارس مهامها عن بعد بسبب قوات الاحتلال.

فضلا وبعيدا عن هذه الأسباب التي هيأت العمل على نشر التعليم عن بعد، فإننا مجبرون على الأخذ به وذلك استجابة لمطالبات العولمة والانفجار التكنولوجي المعرفي. (علي، 2019، الصفحات 89-90-91-92).

2.5. أهداف ومرامي التعليم عن بعد:

بعد الانتهاء من عرض هذه الورقة البحثية يمكننا التوصل إلى المرامي والأهداف التي سعى التعليم عن بعد إلى تحقيقها، يمكننا استنتاجها في أهداف على المستويين العام والخاص، نصنفها في الصنف أسفله:

- إن الهدف الأسمى الذي وجد التعليم عن بعد من أجله هو العمل على مبدأ تحقيق التعليم للجميع وخلق الفرص الجديدة للأشخاص دون الفصل الطبقي بينهم؛ أي خلق ما يسمى بمبدأ تكافؤ الفرص.
- العمل على توفير التعليم العالي والبحث العلمي والتنمية المهنية للموظفين وأرباب المهن من خلال منحهم فرصة التعليم؛ بحيث يتمكن الأشخاص العاملون من مزاولة أعمالهم في الآن ذاته.
- الإسهام في تنمية القطاع الاقتصادي؛ وذلك عن طريق استثمار ميزانيات التعليم الواقعي الفائضة في مشاريع أخرى قد ترجع فوائدها على تحقيق الجودة في مؤسسات التعليم النظامية.
- يسعى إلى خلق حلول بديلة عن التعليم النظامي الذي يعجز في تغطية الاستجابة للطلب المتزايد على التعليم.

- ترقية القطاع الاجتماعي وذلك من خلال، توفير التعليم لذوي الدخل البسيط والمتوسط، الإسهام في تعليم المرأة خاصة في الدول السائرة في طريق النمو، المساهمة في محو الأمية وتنوير العقول بثقافة التعليم والمعرفة بأقل جهد وتكلفة.

- سعي التعليم عن بعد من تمكين التعليم وفرضه بطريقة غير مباشرة، وتمكين التواصل بين كل شرائح المجتمع عبر العالم ومواكبة التطور من خلال الممارسات لوسائط التكنولوجيا وأسابيلها.

3. النتائج ومناقشتها:

من بين النتائج المتوصل إليها في البحث:

- إن التعليم عن بعد تعليم يرتكز أساسه على بعد المسافة واختلاف الزمن، غير أنه يحمل هذا المنظور اختلافات كان نجد ثلة من الباحثين ينفون المقابلة بين المعلم والمتعلم حتى ولو في فترات متفاوتة؛ بحيث ينادون بالمتابعة البعيدة، وهناك من يرفضون هذا الطرح وينددون باللقاءات المباشرة من حين لآخر باعتبارها مدعمة للطالب.
- إن التعليم عن بعد ضرورة حتمية أقرها الواقع، نتيجة للعجز النظامي للتعليم، ولذا يطالب البعض بالاستغناء عن التعليم النظامي؛ وهذا يبدو لي ضرب من الخيال حيث أننا لا يمكننا مضاهاة البيئة الحقيقية للتعليم الكلاسيكي ولا مجاراتها.

- إن للتعليم عن بعد تطبيقات متعددة تبعا لأنماطه وأشكاله، كما نستنتج أن التعليم عن بعد مصطلح عام لا يمكننا تضيق تطبيقه.

- إن التعليم عن بعد فلسفة اجتماعية، وخطة تنموية ناجعة في تحقيق أهداف على مستويات مختلفة.
- إن جوهر مسألة التعليم عن بعد هو الاهتمام بالمتعلم، وتقوية فاعليته.
- إن للتعليم عن بعد استخدامات واسعة؛ بحيث نجدها تعددت حدود استخدامها كوسيلة لطلب التعليم المتوقف للأشخاص، إلى آلية تستعين بها القطاعات في المسابقات والندوات...إلخ.

الخلاصة:

فصفوة القول حول ما سبق تداوله في هذا البحث والتطرق إلى حيثيات وملابسات قيام التعليم عن بعد من جهة، ومسألة تبنيه من طرف الهيئات التعليمية بمختلف مستوياتها من جهة أخرى، وبعد مناقشة أفكاره وتحليلها توصلت الباحثة إلى جملة من الاستنتاجات والنتائج والتي بدورها توصلنا إلى تقديم إجابات مختصرة عما طرحنا سالفا نوجزها فيما يلي:

- إن التعليم عن بعد مصطلح تعددت مفاهيمه من باحث لآخر فمنهم من وسع نطاقه ومنهم من ضيقه، غير أن كل هذه المفاهيم تتفق على خصائص مشتركة تتمثل في ضرورة البعد الزمكاني بين أقطاب التعليم.

- يظهر جليا أن التعليم عن بعد تعليم محاكٍ للتعليم النظامي من خلال أطره البيداغوجية؛ المعلم والمتعلم والمحتويات التعليمية بالرغم من اختلاف مهام كل منهم، ومضمون وأليات تقديم الدروس، غير أن طريقة التواصل هي الفاصل بينهما.
- تُعدّ الوسائط التكنولوجية هي من مرتكزات التعليم عن بعد من حاسوب وشابكات...إلخ، فهي تسهم في تقريب المتفاعلين عن طريق عناوين ومنصات إلكترونية أو غرف افتراضية.
- عُدّ التعليم عن بعد كسياسة انتهجتها الجهات المسؤولة كتعليم بديل عن التعليم النظامي، الذي فشل في تلبية العرض المتزايد على التعليم.
- إنَّ للتعليم عن بعد أنماطا مختلفة كالتعليم الإلكتروني والتعليم بالمراسلة والتعليم المفتوح والمبرمج، مما وسع نطاق الأخذ به على مستويات أوسع وفق ما يتناسب ومتطلبات الواقع، والذي ساهم في ظهور ما يسمى بالجامعات المفتوحة والافتراضية...إلخ.
- ضف على ذلك فإنَّ تطور أشكاله لم يمه ما انطلق منه التعليم عن بعد وهبي دروس المراسلة، وإنما استثمرت جميعها لخدمة التعليم عن بعد.
- من مزايا التعليم عن بعد كزنه أسلوب إيجابي؛ بحيث يشرك المتعلم في عملية التعليم عن طريق التعلم الذاتي مما يجعل دوره نشطا فاعلا، عكس ما عهدناه في التعليم التقليدي فهو غالبا ما يكون طرف مستقبل فقط.
- فمن خلال ما تم التواصل إليه واستنباطه، لا بد لنا أن ننوه إلى جملة من التوصيات تخدم التعليم عن بعد فأهمها أنه لا بد من العمل على توسع وتفعيل التعليم عن بعد على جميع الأصعدة وذلك نظرا لعدة مبررات نذكر منها:
- كونه تعليمًا أثبت نجاعته وخير دليل على ذلك هي مختلف تنزيلاته الواقعية.
- كما يعدّ هذا الأخير تعليمًا ناجحًا خاصة بالنسبة إلى المتعلمين في المراحل الأولى؛ وذلك لتبنيه طرائق عصرية تلتفت انتباهه من خلال برامج الألعاب التعليمية، واستثمار الألوان في ترسيخ المعلومات، وأشرطة الفيديو إلخ.
- ومن بين التوصيات نقول:
- أننا ننوه إلى ضرورة ربط التعليم التقليدي بالتعليم عن بعد وليس اتخاذه إجراء منفصلا عنه، وذلك نظرا للدور الفعال الذي تلعبه البيئة التعليمية في التحصيل، بالإضافة إلى المساهمة الفاعلة للموجه أو عضو التدريس في إنجاح العملية التعليمية التعلمية.
- أما كنقد توجهه الباحثة إلى تبني هذه الآلية هو إشكالية إنزالها في الواقع يختلف كل الاختلاف عما نظرنا له في ورقات البحث، خاصة في الدول النامية والتي تصطدم بتدني مستوى الخدمات التكنولوجية سواء الفردية أو المؤسساتية، لذا يجب التصدي لهكذا إشكالات قبل تبنيه، ضف إلى ذلك عدم الوعي بطرائق العمل عن طريق التعليم عن بعد لذا لا بد من تسخير أرضية متكاملة لتطبيقه وتدريب المعلمين والموجهين وحتى الطلبة والتلاميذ والذين أكثرهم يجهلون استخدام الوسائط التكنولوجية.
- كما لا بد أن ننوه بضرورة استجابة الكوادر المسؤولة وأن تتكاتف جهودهم خاصة بين قطاع الاتصالات وقطاعات التربية والتعليم العالي والبحث العلمي كل في مجاله لمجابهة الفشل إن صح التعبير في استثمار التعليم عن بعد.
- لذا فإنَّ من أهم الإشكاليات التي لا بد من أن نتطرق إليها من خلال هذا الموضوع وهي مشاكل الإنزال الواقعي للتعليم عن بعد.

Bibliographie

- ابراهيم، الهمامي، بن سيف حمد، حجازي. (2020). *التعليم عن بعد مفهومه أدواته واستراتيجياته*. (الإصدار د.ط.). بيروت- لبنان.: مراكز الملك سليمان للإغاثة والأعمال الإنسانية- ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.
- الأحمري، سعيدي. (بدون تاريخ). *التعليم الإلكتروني*. <https://www.noor-book.com> : كتاب من موقع .
- الخفاجي، سامي. (2015). *التعليم المفتوح والتعليم عن بعد أساس التعليم الإلكتروني*. (الإصدار د.ط.). الأردن.: الأكاديميون للطباعة والنشر.
- الشهران، صلاح عابد. (2014). *التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الوطن العربي: نحو التطوير والإبداع*. بحث مقدّم إلى المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي .
- أنس، أبي ، البنكاني، ماجد. (2002). *رحلة العلماء في طلب العلم*. (الإصدار د.ط.). الطائف- السعودية.: دار الطرفيين.
- بكر بن عبد الله أبو زيد. (2002م). *حلية طالب العلم* (الإصدار ط1). بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة.
- بني ياسين، محمود بسام، ملحم، محمد أمين. (2011). *معوقات استخدام التعليم الإلكتروني التي تواجه المعلمين في مديرية التربية والتعليم لمنطقة إربد الأولى*. *المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد*. (مج3).
- جاسم، انتظار، رشيد، عبد الله شذى. (د.ت.). *أهمية التعليم الإلكتروني في دعم المجتمع*. *مجلة كلية الآداب جامعة بغداد*. ، الصفحات 501-513.
- جيمس، أستيبيتش، دونالد، د راسل، جيمس، ليفوتويتش، آن أوتينبريت. ج نيوباي، تيموثي، د ليمان. (د.ت.). *التقنية التعليمية للتعليم والتعلم*. (الإصدار د.ط.). (العربي، سارة، المترجمون) السعودية، مصر: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- حمادة، حمادة، عبد الرزاق، علي. (2019). *معوقات التعليم المفتوح في وطننا العربي*. *مجلة التعليم عن بعد والتعليم المفتوح*. (مج7).
- حمزة حمزة. أبو نصر. (2007). *الشامل في التعليم والتعلم والتدريس*. (الإصدار ط1). المنصورة- مصر.: مكتبة الإيمان.
- روبحي، لخضر. (2017). *التعليم بالمراسلة في الجزائر بين النظرية والتطبيق*. 329-338. تيزي وزو - الجزائر.: منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
- زيد الكيلاني، توفيق تيسير. (2013). *التعلم الذاتي* (الإصدار ط2). صنعاء-اليمن.: جامعة العلوم والتكنولوجيا للكتاب الجامعي.
- طارق عبد الرؤوف. (2014م). *التعليم الإلكتروني والتعليم الافتراضي* (الإصدار ط1). القاهرة- مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- عبد الجليل عبد الرحيم خالد دويكات. (د.ت.). *دور التعليم المفتوح في تحقيق التنمية البشرية في فلسطين-جامعة القدس أنموذجاً*.
- عبد الرؤوف طارق عامر. (2013م). *التعليم عن بعد والتعليم المفتوح* (الإصدار د.ط.). عمان-الأردن: دار البازوري العلمية.
- علي، السيد محمد. (2011). *موسوعة المصطلحات التربوية*. (الإصدار ط1). عمان - الأردن.: دار المسيرة للنشر والطباعة.

فاروق عبده فلية، و أحمد عبد الفتاح الزكي. (2004م). معجم مصطلحات التربية. مصر: دار الوفاء دميا الطباعة والنشر.

هجرسي، مصطفى، شنان، فريدة. (2009). المعجم التربوي. ملحقة سعيدة الجهوية-الجزائر-: المركز الوطني للوثائق التربوية.